إشكالية ترجمة اللهجات الفردية والاجتماعية
في روايتي «مجد أبي» و «قصر أمي» لمارسيل بانيول

Translating Idiolects and Sociolects in *Marcel Pagnol*'s *La Gloire de mon père* and *Le Château de ma mère*

هيفاء آيت زيان[1]، السعيد خضراوي[2]

Heyfa AIT ZIANE[1], Said KHADRAOUI[2]

[1] جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1، (الجزائر)، h.aitziane@univ-batna2.dz

[2] جامعة باتنة 2، الشهيد مصطفى بن بولعيد، (الجزائر)، s.khadraoui@univ-batna2.dz

تاريخ الاستلام: 2021/07/24 **تاريخ القبول**: 2021/09/08 **تاريخ النشر**: 2021/12/28

ملخص:

ليس من الهين نقل العناصر اللغوية المرتبطة باللهجة الفردية واللهجة الاجتماعية، لما تحملان من شحنات دلالية متشعبة ومتداخلة. يهدف هذا المقال إلى تبيان العراقيل التي يواجهها المترجم أثناء محاولته ترجمتهما من الفرنسية إلى العربية، ومعرفة كيفية التعامل مع الظاهرتين من منظور ترجمي بتسليط الضوء على الملامح التي تتحقق فيها، من لكنة ونطق ولهجة محلية وأساليب شفهية مصاحبة لها، في إحدى أكثر الروايات تجسيدا للصبغة المحلية الريفية أو البروفنسية، وما لها من دلالات فردية واجتماعية في آن معا. ذلك أن العلاقة الوطيدة بينهما وبين متغيرات لسانية أخرى قد تصّعب مهمة نقلهما من لغة إلى أخرى. لذلك، تناولنا بالتحليل ترجمة بعض الجمل الممثلة لها في روايتي *مجد أبي* و*قصر أمي* *لمارسيل بانيول*، حيث جاء موقف المترجم منها متضاربا ولجأ للحذف في أكثر من موضع لصعوبة إيجاد مكافئ ينقل الصيغ الشديدة الفردية أو الاجتماعية المحلية البحتة. فتعذر عليه أحيانا نقلهما بأمانة لاختلاف أساليب تحقيقهما بين الثقافتين، أو لغياب ما يكافئهما في اللغة المستقبلة.

كلمات مفتاحية: اللهجة الفردية، اللهجة الاجتماعية، اللكنة، النطق، البروفنسية.

Abstract:

This paper investigates the difficulty of translating idiolects and sociolects from French into Arabic, and how the translator tackles obstacles encountered when trying to recreate their effects. We sought to focus on linguistic aspects pertaining to them, such as the accent, the pronunciation, the regiolect and the orality, which could embody them. We chose a meridional French literary work, which perfectly depicts the local colour of Provence, through its prolific use of idiolects and sociolects. The difficulty of rendering those notions was noticeable when we analyzed the translation of some sentences, which best represent them in Marcel Pagnol's *La Gloire de mon père* and *Le Château de ma mère*. We could ascertain that both phenomena are interrelated. This is challenging since it is impossible to demarcate their aspects. Thus, their transfer is sometimes scarcely possible and doomed to fail, as they are differently achieved, or inexistent in the target culture.

Keywords: Idiolect; Sociolect; Regiolect; Accent; Provence.

المؤلف المرسِل: هيفاء آيت زيان، **الإيميل**: h.aitziane@univ-batna2.dz

1. مقدمة:

لطالما ارتبط حقل الترجمة بالدراسات اللسانية عموما فكان لفترة طويلة جزءا لا يتجزأ منها. ولأن الترجمة نشاط إنساني في حركة دائمة أساسها التواصل في إطار اجتماعي وثقافي يتجاوز الاعتبارات اللغوية البحتة، كان لزاما تسليط الضوء عليها من هذه الزاوية، أي من وجهة نظر اللسانيات الاجتماعية التي تتناول بالدراسة مظاهر لغوية في سياقها الاجتماعي.

لم يلق هذا الفرع من الدراسات الاهتمام الكافي في العالم العربي إلا حديثا، أو هذا ما يبدو لنا على الأقل لأول وهلة. فقد نجد بوادره عند بعض المنظرين العرب قديما، وإشارات ومقولات لهم تمثل ركيزة متينة لما هو عليه العلم حاليا، إلا أن هناك بعض المفاهيم التي لاقت مشقة في تأسيس كيان مستقل لها بين حدود اللسانيات الاجتماعية الشاسعة، ولم تستطع أن تفرض مكانة لها إلا بعد كبوات وعراقيل أعاقت لمدة طويلة مسارها النظري. فقد رفض بعض العلماء وجودها كمفاهيم مستقلة قائمة بذاتها ولم تركز عليها الدراسات إلا حديثا، بينما لا تزال الجهود التي تحاول التعريف بها في العالم العربي جد ضئيلة.

يتعلق حديثنا هنا بشكل خاص بظاهرة اللهجة الفردية Idiolecte وباللهجة الاجتماعية Sociolecte بصفة أشمل، حيث سنحاول في هذا المقال تحليلهما من منظور ترجمي. وقد خصصنا المصطلح الأول بالذكر عمدا لما واجهه من اعتراضات وتصد مقارنة بالثاني. فكيف والحال هذه يمكننا مقاربة هذين المصطلحين في الترجمة، وهما أساسا محل جدل في اللسانيات الاجتماعية، بحيث يستطيع المترجم أن يميز بينهما بوضوح ويتمكن من الإحاطة بكل معالمهما ليتسنى له ترجمتهما إلى العربية؟ هل نجح المترجم في نقل كل خصوصياتهما في اللغة الهدف دون التضحية بجانب أو بآخر؟ ما مدى قابلية ترجمة العناصر اللغوية والملامح المحلية المرتبطة ببيئة الجنوب الفرنسي الريفية المصورة عند مارسيل بانيول Marcel Pagnol، والتي تميز اللهجتين الفردية والاجتماعية لشخصياته، إلى اللغة والثقافة العربية؟ كيف تعامل المترجم مع الغرابة المحلية الأصلية لتفادي التشويه الذي غالبا ما يصاحب عملية نقل المستويات واللهجات العامية حسب أنطوان برمان Antoine Berman؛ هل كانت ترجمته شفافة تميل إلى التوطين أم أنها انتهجت التغريب الذي يؤثره لورانس فينوتي Lawrence Venuti؟ كيف كان موقفه إزاء المظاهر الشفهية المميزة لبعض الصيغ الفردية التي قد تتخذ شكلا آخرا في اللغة والثقافة الهدف؟

قد يلجأ المترجم للتكييف أحيانا لإضفاء صبغة محلية مجردة من الغرابة تلائم توقعات القارئ. كما قد يفضل الإبقاء على خصوصيات النص الأصل وانتهاج الحرفية وإن كلفه الأمر تقديم ترجمة لا تخلو من الغموض في بعض الأحيان لاختلاف الثقافتين. وقد يتبنى اقتراض أسماء المكان والعلم ويرفقها بملاحظات هامشية تشرح ما يمكن أن تحمله من دلالات لها أهميتها في عملية الفهم. يمكن أيضا أن يلجأ للهجة محلية عربية بديلة لتقريب القارئ العربي من السياق الثقافي والبيئة الريفية المصورين في الأصل واللذين يتميزان بكثافة الألفاظ والعبارات المحلية المستعملة في الجنوب الفرنسي. وقد يضطر إلى اللجوء إلى الحذف عند تعذر نقل بعض العناصر الفردية شديدة الخصوصية التي لا يوجد لها مكافئ في اللغة

الهدف. هذا ما سنحاول معرفته بتسليط الضوء على أبرز تجليات هذين المفهومين في أحد أكثر المؤلفات تجسيدا للبيئة الريفية والاجتماعية عموما للجنوب الفرنسي، بما تحمل من عناصر لغوية مميزة لا يسهل دائما التعامل معها عند محاولة نقلها إلى لغة مختلفة تماما كالعربية، وهي رواية "مجد أبي" *La Gloire de mon père* ورواية "قصر أمي" *Le Château de ma mère* من ثلاثية "ذكريات طفولة" *Souvenirs d'enfance* لمارسيل بانيول التي تصور بشكل دقيق نمط عيش سكان الجنوب الفرنسي آنذاك، وتتجلى فيها اللهجة الفردية والاجتماعية لبعض الشخصيات بوضوح بحكم الطابع المحلي الذي تمتاز به.

2. العلاقة بين اللهجات الفردية والاجتماعية والمتغيرات اللغوية الأخرى:

2.1ماهية اللهجة الفردية واللهجة الاجتماعية:

تعد اللهجات الفردية والاجتماعية نوعا من المتغيرات اللغوية variations linguistiques التي تصنف ضمن اللهجات بصورة عامة، والتي أولاها البعض أمثال هاليداي Halliday وكاتفورد Catford أهمية خاصة في الدراسات اللسانية واعتبروها متغيرات تتصل مباشرة بمستخدم اللغة/المتكلم (Farghal & Almanna, 2015).

نشير هنا إلى أن الدارسين لم يتفقوا حول مفهوم اللهجة الفردية مقارنة باللهجة الاجتماعية. فاعتبر البعض أنه لا جدوى من إعطائها صورة لغوية مستقلة، فيما دافع البعض الآخر عن حقيقة وجودها كظاهرة لسانية قائمة بذاتها. وهذا ما ذكره ديكرو وتودوروف Ducrot and Todorov حين أكدا أن بعض اللسانيين لا يعدون اللهجة الفردية كلاما ويشاركانهم الرأي ذاته معتبرين أنه ما دامت الغاية من الكلام تواصلية قبل كل شيء، فلا يمكن أن تكون الفردية ميزة له. أي أن مصطلح الكلام/اللهجة الفردية يحمل نوعا من التناقض (Ducrot & Todorov, 1972). يرجع ذلك أساسا إلى عدم دقة بعض التعريفات للمصطلح التي كانت معممة بشكل مبالغ فيه، كتلك التي اعتبرت اللهجة الفردية لهجة الفرد فغالت في البساطة أو تلك التي اعتبرتها أسلوبا. وهذا ما دفع البعض إلى رفضها كمفهوم مستقل، لارتباطها بمفاهيم وأنواع أخرى من اللهجات فكانت دائما جزءا ثانويا لم تعمق فيه الدراسات.

كان برنارد بلوخ Bernard Bloch أول من ذكر المصطلح حسب ويليام لابوف William Labov واصفا إياه كالآتي:

« Le terme « idiolecte » a été introduit par Bloch pour désigner le discours d'une personne qui parle d'une seule chose à une même personne pendant un temps limité. » (Labov, 1976, p. 268)

"يطلق مصطلح اللهجة الفردية عند بلوخ على الخطاب أو الحديث الذي يؤديه فرد ما عندما يتكلم عن شيء واحد باتجاه شخص معين خلال وقت محدود"(ترجمتنا).

من جهة أخرى، جاء تعريف اللهجة الفردية في قاموس اللسانيات Dictionnaire de linguistique كالتالي:

> On désigne par idiolecte l'ensemble des énoncés produits par une seule personne, et surtout les constantes linguistiques qui les sous-tendent et qu'on envisage en tant qu'idiomes ou systèmes spécifiques ; l'idiolecte est donc l'ensemble des usages d'une langue propre à un individu donné, à un moment déterminé (son style). (Dubois, et al., 1994, p. 239)

"اللهجة الفردية هي مجموعة الجمل والعبارات التي ينتجها الشخص الواحد، وخاصة الثوابت اللغوية التي تضمها والتي يُنظر إليها على أنها لهجات أو أنظمة خاصة. فهي إذن مجموع استعمالات اللغة الخاصة بفرد معين في زمن محدد (أي أسلوبه)" (ترجمتنا)

ويعرفها ديكرو وتودوروف كما يلي:

« Ce terme désigne la façon de parler propre à un individu, considérée en ce qu'elle a d'irréductible à l'influence des groupes auxquels il appartient. » (Ducrot & Todorov, 1972, p. 79)

"تشير اللهجة الفردية إلى طريقة كلام خاصة بفرد معين لا تخضع لتأثير الجماعات التي ينتمي إليها"(ترجمتنا).

لعل التعريف الذي يقضي بكون اللهجة الفردية "طريقة استعمال الفرد للغة ما وليس لغة الفرد" هو أكثر التعريفات التي حظيت بموافقة الدارسين وأكثرها تداولا:

« L'idiolecte n'est assurément pas la langue d'un individu, mais l'utilisation particulière qu'il en fait. » (Moreau, 1997, p. 165)

إلا أننا نرى أن ربط مفهوم اللهجة الفردية بالأسلوب أمر مشروع وملائم أحيانا بما أن الأسلوب "في مفهومه الشائع، يشكل طريقة الفرد الشخصية وبصمته في الكتابة." (ترجمتنا)

« La conception courante, (…), fait du style la marque de l'individu qui écrit, sa manière personnelle. » (Aron, Saint-Jacques, & Viala, 2002, p. 737)

لكننا في الوقت ذاته لا ننكر "الفارق" الموجود بينهما والذي يمنح اللهجة الفردية كيانا لسانيا مستقلا جديرا بالدراسة.

أما التعريفات التي تخص اللهجة الاجتماعية فقد جاءت أكثر تطابقا فيما بينها، ولم تواجه ما واجهته اللهجة الفردية من تناقضات أو رفض. فمصطلح Sociolecte يطلق بحسب قاموس اللسانيات على "كل لهجة اجتماعية سواء أكانت لهجة عامية مثلا أم رطانة (لغة مهنية)". (ترجمتنا)

« On donne le nom de sociolecte à tout dialecte social, par exemple à un argot ou à un jargon de métier. » (Dubois, et al., 1994, p. 435).

وهي نظام لغوي تتبناه جماعة معينة تربطها عوامل اجتماعية أو ثقافية مشتركة، أو تنتمي إلى فئة عمرية واحدة .(Moreau, 1997)

يبقى أن نقول إنه مهما اختلفت الآراء حول اللهجة الفردية، إلا أنها تبقى وثيقة الصلة مع سائر المتغيرات اللغوية الأخرى كما أشرنا إلى ذلك آنفا، شأنها شان اللهجة الاجتماعية. وهذا ما سنحاول توضيحه فيما يلي:

2.2 اللهجة الإقليمية:

عند دراسة اللهجات الفردية والاجتماعية ومظاهر تجلياتها في اللغة، لا بد أن نستحضر مفاهيم أخرى ترتبط ارتباطا وثيقا بها. إذ لا يمكن تجاهل العلاقة المتكاملة بينهما من جهة، وبينهما وبين "وسائل" أو "صور" لغوية اجتماعية أخرى –أو ما يسمى بالمتغيرات اللغوية– من جهة أخرى.

من بين أوجه تحقق الاختلاف اللغوي الذي يتصل مباشرة باللهجتين الفردية والاجتماعية ما يسمى في اللسانيات الاجتماعية باللهجة الإقليمية Régiolecte. حيث يمكن أن تتيح لنا فرصة التمييز بين لهجة طبقة اجتماعية دون غيرها، فتكون أكثر وضوحا عند طبقة العمال والفلاحين مقارنة بالطبقات الاجتماعية العليا حيث تبرز بشكل أقل (Lafontaine, 1986).

فاللهجة الإقليمية التي يجسدها تغير اللغة من منطقة إلى أخرى، هي عامل أساسي يساعد في تحديد اللهجة الاجتماعية لجماعة معينة. لكن يجب الإشارة في هذا الصدد إلى أن علماء اللهجات يجردون اللهجة الاجتماعية من الجانب الإقليمي ويحصرونها في التباينات اللغوية التي تحددها الطبقة الاجتماعية، والجنس والسن. وتشكل هذه العوامل دون المنطقة الجغرافية نقطة تشابه لغة فردين أو أكثر مكونة بذلك "اللهجة الاجتماعية". (هدسون، 1990) إلا أن معظم الدراسات الحالية تتجه بشكل متزايد إلى إدراجها كمظهر من مظاهر تجلي اللهجة الاجتماعية، أو تعتبرها، على الأقل، متغيرا لغويا وثيق الصلة بها ولا يمكن إنكار تأثيره عليها. ومن الأمثلة على ذلك، اللهجة البروفنسية Le provençal التي تميز الجنوب الفرنسي الريفي والتي يمكن اعتبارها امتدادا طبيعيا للهجات مختلف الجماعات اللغوية الاجتماعية. كما يمكن أن تندرج أحيانا ضمن اللهجة الفردية عندما لا يخلو كلام الفرد من مفردات محلية يكرر استعمالها وتطبع طريقته الخاصة في الحديث. إلا أن البعض كلابوف مثلا يرى في اللهجة المحلية بشكل عام خاصية جماعية لا فردية (Vargas, Rey, & Giacomi, 2007, p. 24).

ليس غريبا إذن أن نجد تنوعا في استعمال البروفنسية وحتى الأكستانية L'occitan بشكل أعم عند شخصيات بانيول المختلفة وأن نلاحظ ورودها بكثرة عند شخصيات محددة مقارنة بأخرى، رغم انتمائها جميعا لبيئة واحدة. وهو ما يعبر عنه المؤلف بتعليقه الدائم مثلا عن الكلمات والعبارات المحلية التي يسمعها عند صديقه "ليلي" Lili الذي يعيش في الريف، والتي غالبا ما تغيب في لهجته (لهجة بانيول) الفردية الحضرية. وتبعا لهذا فقد كان موقف المترجم منها متضاربا، فتارة يترجم معناها دون الإشارة بصورة أو بأخرى إلى ورودها ككلمة محلية في الأصل وتارة ينقلها كما هي للإبقاء على الغرابة الأصلية. ومن الأمثلة على ذلك:

1-« **Té**[1], dit-il, voilà pour vous ! » (Pagnol, Le Château de ma mère, 2004, p. 204).
1–"خذ هذا ولا تتحدث، قال." (سيف، قصر أمي، 1997، صفحة 171).

[1] Té = tiens (Le Dictionnaire Marseillais, 2005, p. 37)

2-« …et son nom même était une **galéjade**[2]» (Pagnol, Le Château de ma mère, 2004, p. 116)

2-"...كان اسمها نفسه عبارة عن مزحة..." (سيف، قصر أمي، 1997، صفحة 97)

وجاء تعريف كلمة galéjade في موسوعة كيبه Dictionnaire Encyclopédique Quillet كالآتي:

"اسم مؤنث أصله بروفنسي. تهكم أو دعابة غرضها تضليل شخص ما وخداعه. يستعمل خاصة للإشارة إلى النكت المرسيلية أو البروفنسية." (ترجمتنا)

3-« …tandis que Paul, dansant comme un **farfadet**[3]... » (Pagnol, Le Château de ma mère, 2004, p. 154).

3-"...بينما بول يرقص كالمصروع..." (سيف، قصر أمي، 1997، صفحة 131).

أما كلمة farfadet فتعرفها الموسوعة كالتالي:

"اسم مذكر. صيغة مشددة لكلمة fadet البروفنسية. ذو طبع لعوب." (ترجمتنا)

4- «…je le priai de présenter mes condoléances au pin **« escagassé »**[4] de La Garette…» (Pagnol, Le Château de ma mère, 2004, p. 109).

4-"...رجوته أن ينقل مواساتي إلى صنوبرة "إسكاجاسي" بالجاريت..." (سيف، قصر أمي، 1997، صفحة 92).

وجاء تعريف فعل escagasser كما يلي:

"فعل متعد أصله بروفنسي. عامي شعبي. أنهك وأتعب بالمعنى الحقيقي والمجازي." (ترجمتنا)

نلاحظ أن ترجمة المعنى في الأمثلة الثلاثة الأولى هي ترجمة وفية إلى حد ما، لكن القارئ العربي لا يلمس إطلاقا أي صبغة محلية تميزها عن غيرها من الكلمات. أما في المثال الأخير، فارتأى المترجم الحفاظ على الكلمة كما هي فاقترضها، ربما لورودها بين مزدوجين في الأصل، وهذا ما يدل على أن المؤلف قصد عزلها كي يوضح الجانب المحلي لها واستعملها دون أي كلمة فرنسية قياسية أخرى، لأنه يخاطب صديقه ليلي الذي يميل إلى استخدام اللهجة المرسيلية بكثرة، فاستعار بانيول، إن صح التعبير، لهجته الفردية (لهجة ليلي) وأراد إبراز ذلك مطبعيا. لكن القارئ للجملة العربية كاملة لا يفهم تلك الغرابة لأن المترجم، وإن نقل الكلمة كما هي، لم يوفق في نقل معناها، وترجمته لا تؤدي المعنى المنشود، ألا وهو كون شجرة الصنوبر تعرضت للتلف. لكن الجملة بالعربية توحي للقارئ العربي أن "إسكاجاسي" اسم علم أطلق على الشجرة والأمر ليس كذلك بتاتا. كما أن هذه الكلمات المحلية تنتمي إلى مستوى لغوي عامي لم توضحه الترجمة العربية. وغياب الصبغة المحلية في الترجمة العربية التي تكتفي بنقل المعنى من شأنه أن يحدث خسارة معتبرة بإهمالها لعامل

[2] *Galéjade*= « n. f. (provenç. galejado (…) Raillerie, plaisanterie, faite pour tromper, mystifier quelqu'un ; se dit surtout des plaisanteries marseillaises ou provençales. » (Dictionnaire Encyclopédique Quillet, 1983, p. 2704)

[3] *Farfadet*= « n. m. (forme renforcée du provençal fadet (…) Esprit follet. » (Dictionnaire Encyclopédique Quillet, 1983, p. 2436)

[4] *Escagasser*= « v. tr. (provenç. escagassa, déprimer). Argot pop. Assommer, éreinter, au pr. et au fig. » (Dictionnaire Encyclopédique Quillet, 1983, p. 2253)

رئيس يجسد أحيانا اللهجة الفردية أو الاجتماعية لبعض الشخصيات. لذا، يمكن أن تكون الترجمة جزئية هنا عندما يتعذر نقل بعض العناصر في النص الأدبي فيتم حذفها أو تعويضها (Catford, 1974).

2. 3.اللكنة:

إذا ما قارنا بين اللهجة الاجتماعية واللهجة الإقليمية أو المحلية، فإن أول مظهر مشترك يستوقفنا هو ما يسمى باللكنة L'accent، وهي التي تجعل من الربط التلقائي بين المصطلحين أمرا حتميا.

إن اللكنة خير مؤشر يشي بأصل المتكلم وانتمائه "العرقي" أو الجغرافي، فهي تميز اللهجة الإقليمية لمنطقة محددة دون غيرها، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإنها بالنسبة للبعض، يمكن أن تكشف موقفا أو اتجاها أو عقيدة معينة، حيث يختارها المتكلم طوعا للتعبير عن انتسابه لجماعة دون غيرها. (Moreau, 1997) وهنا تكمن الصعوبة على المستوى الترجمي وذلك عندما يصبو المترجم إلى نقل أمين ووفي لتفادي أكبر عدد ممكن من الخسائر في الجانبين الشكلي والمعنوي للكنة، إذ لا يمكن إهمالهما لاتصالهما بعملية الفهم، ولأن اللكنة تحمل أحيانا رسائل وأغراضا تتصل مباشرة بالمعنى العام.

يجدر بنا في هذا السياق أن نتحدث عن لهجة الجنوب الفرنسي، وبالأخص لهجة سكان مرسيليا التي اتسمت ولزمن طويل بظاهرة لغوية تجسد لكنتها الخاصة التي تميزها عن غيرها، وهي عدم اللثغ بالراء « rouler les « R وما تحمله من ملامح محددة للهوية.

وعليه، لا يجدر النظر إلى هذه الصبغة المحلية من زاوية لغوية فحسب، بل من منظور اجتماعي أيضا، يندرج ضمن اللهجات الاجتماعية وحتى الفردية لما لها من دور في تحديد معالمها.

إن ترجمة هذا النوع من اللكنات ليس بالأمر الهين، تحديدا إلى لغة كالعربية لا تلثغ بالراء أساسا، فيصبح من الصعب نقل هذه اللكنة على أنها ظاهرة غريبة وفريدة من نوعها للقارئ العربي. كما لا يمكن إهمالها في الوقت ذاته لأنها متصلة مباشرة بعملية الفهم حيث تكون جزءا لا يتجزأ من الهوية الفردية والاجتماعية كما سبق وأن أشرنا إليه، وهو ما لا يجب طمسه في عملية الترجمة.

فها هو مارسيل بانيول مثلا يخبرنا في أحد أحداث كتابه قصر أمي Le Château de ma mère بشكل غير مباشر أن هذه الظاهرة ما هي إلا موقف اجتماعي بحت يسمح للفرد بالتميز عن غيره. فنجده يتحدث عن بيار Pierre الرضيع الذي لم يكوّن لنفسه لكنة محددة بعد قائلا:

« ….Comme il n'avait pas encore pris un parti sur la prononciation des r, je fis remarquer à la tante Rose qu'il était bien dangereux de l'emmener chez des étrangers qui lui imposeraient par surprise le terrible accent de Perpignan. » (Pagnol, Le Château de ma mère, 2004, pp. 171-172).

"(…) ولأنه لم يكن قد تدرب بعد على نطق حرف الراء، نبهت خالتي روز إلى أنه من الخطأ اصطحابه إلى هؤلاء الذين سيفرضون عليه فجأة اللكنة المريعة لأهل بربنيون." (سيف، قصر أمي، 1997، صفحة 144).

ركز بانيول كثيرا على البعد الشفهي المصاحب لهذا النوع من اللكنات الخالصة لمنطقة مرسيليا، وحرص على نقله كتابيا في الكثير من المواضع، خاصة على لسان "العم جول" L'oncle Jules الذي يمثل الشخصية المرسيلية النموذجية بامتياز والذي لا يتخلى عن قصد عن لكنته التي لا تلثغ بالراء، ويبرزها بنوع من الفخر والتعصب لمنطقته. وللتدليل على ذلك، نسوق المثال التالي:

« …Vous êtes caché derrière une haie, et **votrre** chien décrit un cercle (…) S'il connaît son métier, les **perrdrreaux** vont venir droit sur vous (…) Mais au moment de **tirrer**, d'un coup sec… » (Pagnol, La Gloire de mon père, 2004, p. 151).

لكننا لا نلمس هذه الخصوصية المحلية وما تحمله من دلالات فردية (الفخر والتعصب) واجتماعية (بما أنها لكنة مشتركة لسكان تلك المنطقة) في الترجمة العربية التي اكتفت بنقل المعنى، ربما لاستحالة نقل ما هو "غريب" ومميز في الفرنسية إلى العربية المعتادة على عدم اللثغ بالراء:

"... ستكون أنت مختبئا خلف ساتر، ويكون كلبك قد قام بعمل دورة (...) هذا إذا كان كلبا مدربا، لذا ستأتي طيور الحجل نحوك مباشرة (...) لكن لحظة التصويب، وبضربة خاطفة..." (سيف، مجد أبي، 1997، الصفحات 129-130).

وتتعذر الترجمة في هذه الحالة لـ"ترفعها" عن نقل ما يعد عنصرا صوتيا بحتا، أي أن البعض يجرد المؤلفات المكتوبة من كل عامل شفهي، فلا يتوقف عند هذا المظهر في الترجمة (لادميرال، 2011).

وبما أن اللكنة عامل رئيس ينبغي الاهتمام به في عملية الترجمة، لا بد من الإشارة إلى أهم ما يحققها من أساليب لغوية يمكن أن تمثل الجانب الفردي للكلام أحيانا، وهو النطق الذي يعد أفضل وسيلة لغوية تسمح بتمييز لكنة محلية عن غيرها. وكما قد يدل النطق عند هدسون Hudson "خطأ أو صوابا، على الأصول أو انتماء الفرد إلى مجموعة ما، فإن له وظيفة في أفعال الفرد المؤكدة للهوية." (هدسون، 1990، صفحة 75).

فهو بذلك طريقة تعبير لا إرادية في أغلب الأحيان، تميز جماعة لغوية دون غيرها وتعكس لهجتها الاجتماعية الخاصة. وهو كذلك أسلوب كلام إرادي في أحيان أخرى عندما يلجأ إليه الفرد كرمز يحدد به هويته الفردية والاجتماعية في آن واحد، وبذلك تتكون لنا صورة عن السلوك اللغوي للمتكلم (كالفي، 2006).

3.أوجه التكامل بين مفهومي اللهجة الفردية واللهجة الاجتماعية:

ها نحن أمام تداخل وتكامل طبيعيين بين اللهجتين الفردية والاجتماعية، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن جدوى الفصل بينهما كمصطلحين من المنطلقين التاليين:

أليس الفرد جزءا من الجماعة فتكون لهجته الخاصة مرآة عاكسة للجماعة التي ينتمي إليها؟

ألا تحتوي الجماعة الفرد فتشكل لهجتها الاجتماعية خلفية تعطي فكرة عن أسلوبه في الكلام؟

يعتبر الكثير من الباحثين اللغة والكلام عمليتين متكاملتين، فالأولى عبارة عن مزيج من خطابات فردية خضعت لنوع من التعميم بشكل يتيح لنا تحديد معالم اللهجة الفردية من منطلق عام، أي أن اللهجة الفردية ما هي إلا تحصيل

حاصل لخيارات جماعية مسبقة يتأقلم معها الفرد بأساليب لغوية مختلفة من شأنها أن تخلق لهجة خاصة باستعمال شتى وسائل التعديل المتاحة له. (Rémi-Giraud, 2005) وتزداد الأمور تعقيدا حين يتعلق الأمر بمفهوم اللهجة الفردية إذ إن بعض الآراء اللسانية تجرد اللغة أو الكلام من كل مظهر فردي بما أنها تحصر دورهما في الجانب الاجتماعي .(Hall, 1951)

ربما ساعد عدم التمييز بين المصطلحين في تقليص حجم عدم الاهتمام الذي تعاني منه اللهجة الفردية وذلك بتسليط الضوء عليها ضمن اللهجة الاجتماعية وليس بدراستها بشكل منفصل. يزداد انصهار المصطلحين وضوحا عند دراستهما من منظور ترجمي، ولا يتأتى ذلك دائما بطبيعة الحال إلا عندما يتعلق الأمر ببعض مظاهر تجليهما كما هو الحال بالنسبة للكنة مثلا. وفيما لا يرى البعض للهجة الفردية وجودا لسانيا بحتا فإن البعض الآخر ينظر إليها من زاوية اجتماعية تجعل منها قرينة للهجة الاجتماعية ومرتكزة عليها. وهذا ما أشار إليه ألان راباتيل Alain Rabatel قائلا:

« (…) dans certains cas (…), les données idiolectales émergent sur le substrat sociolectal et indiquent que la représentation idiolectale de l'individu réduit ce dernier à sa fonction sociale. » (Rabatel, 2005)

"ترتكز معطيات اللهجة الفردية على أساس لهجي اجتماعي في بعض الأحيان كما تبين أن اللهجة الفردية التي تمثل الفرد تحصره في وظيفته الاجتماعية."(ترجمتنا)

يعتقد آخرون أن بعض مظاهر اللهجة الفردية كاللكنة مثلا قد يتبناها بعض المتكلمين لأغراض "غريزية" مختلفة قد تتنوع بين الرغبة في استعراض الرجولة أو رفض كل ما يمكن أن يشكل اختلافا أو غير ذلك. (Rabatel, 2005) مما يمكن اعتباره لهجة فردية وأحيانا لهجة اجتماعية بوصفها امتدادا حتميا ومنطقيا لها. يجد المترجم نفسه هنا أمام ظاهرة متداخلة يصعب التعامل معها. فكيف له أن ينقل البعدين الفردي والاجتماعي للكنة أو النطق في آن معا، هذا إذا افترضنا أنه وُفق في إيجاد مكافئ مناسب لها في العربية.

لا تتوقف الصعوبة هنا، بل تتعداها عندما يتعلق الأمر بلهجة المترجم الفردية. ذلك أن التمازج الموجود بين اللهجات الفردية وغيرها من اللهجات الأخرى، سواء أكانت اجتماعية أم غيرها، من شأنه أن يؤدي إلى تنافر بين لهجتي المؤلف والمترجم الفردية عند القيام بعملية الترجمة. فيجد المترجم –الذي يبقى دوره الأول والأخير تقريب المعنى للقارئ الهدف– نفسه أمام عائق لا يستهان به، إذ لا يمكنه تحقيق مراده إلا إذا أجاد التعامل مع لهجته الفردية الخاصة به كمترجم ومع لهجة المؤلف الفردية كذلك، بل وحتى مع لهجة القارئ الهدف الفردية. (Pergnier, 2017) وذلك راجع إلى كون اللهجة الفردية –كما سبق وأن أوضحنا– متصلة اتصالا مباشرا بسائر أنواع اللهجات وتجلياتها، ولا يمكن التعامل معها أو دراستها بصورة منعزلة.

إذا سلمنا بالعلاقة المنطقية التي تربط بين اللهجة الفردية واللهجة الاجتماعية، وصار بإمكاننا دراستهما وتحديد معالمهما من هذا المنظور، فهذا لا يعني أنه من السهل تطبيق ذلك عمليا لاتساع مفهوم اللهجة الاجتماعية أيضا، ولأنه لا يوجد اتفاق دائم حول العوامل المشكلة لها.

ورغم التحفظات التي أبداها الكثير من علماء اللغة فيما يخص الجانب الفردي للغة وحول مفهوم اللهجة الفردية خصوصا، فهناك آراء أخرى تدحض هذه الرؤية ولا تنكر الفردية المصاحبة لعملية الكلام، بل تعتبرها صفة مميزة واضحة لا يمكن إهمالها. فيشبهها البعض لـ"بصمات الأصابع" التي يستحيل أن تتكرر.(Hall, 1951)

ولأن اللهجة الفردية تختلف من شخص لآخر، وتتجسد في صور مختلفة وأداء متنوع على المستويات النحوية والمعجمية والصوتية والإملائية وغيرها، دون أن تكون معزولة عن السياق الاجتماعي الذي يحكمها ويفرض عليها بعض الضوابط، فإن ذلك يمثل تحديا كبيرا للمترجم إذا أراد نقل كل خصوصيات هذه اللهجة بأمانة. كما لها أبعاد ثقافية ولا يكون استعمالها في الكثير من الأحيان عشوائيا، بل غالبا ما يحمل مقاصد على المترجم أن ينتبه إليها ولا يهملها .(Basil & Mason, 1997)

ومن بين المظاهر التي تتجلى فيها اللهجة الفردية –المكتوبة– الأخطاء الإملائية عند الأطفال خاصة. ولعل الرسالة التي يذكرها بانيول والتي أرسلها له ليلي صديقه أيام الطفولة خير مثال على ذلك. إذ يمكن التعرف سريعا على لهجته الفردية حيث تكثر الأخطاء اللغوية والإملائية بحكم عدم إكمال مشواره الدراسي. وقد حرص بانيول على نقل الرسالة بكل خصوصياتها في كتابه تأكيدا على اختلاف لهجة صديقه مقارنة بغيره من الأطفال. هذا تحديدا ما يصّعب مهمة المترجم الذي ينبغي أن يراعي هذه الخصوصيات لنقل ما تحمله من شحنة دلالية في اللغة الهدف وإحداث الأثر نفسه عند القارئ العربي، لذلك عليه أن ينتبه لكل الجوانب المحيطة بلهجة ليلي الفردية التي تميز شخصيته المرحة المحببة إلى قلب بانيول والتي يشوبها القليل من السذاجة. تبدأ رسالة ليلي بصيغة تختلف عن لهجته الاعتيادية وتكشف عن محاولته الكتابة بأسلوب رسمي وأكثر إتقانا مما ألف استعماله كما تعبر في الوقت ذاته عن حسرته وتأسفه:

« Ô collègue ! » (Pagnol, Le Château de ma mère, 2004, p. 106).

احترم المترجم محمد سيف هذا التناقض المقصود الذي استهل به ليلي رسالته والذي يحمل أبعادا مختلفة وحافظ على المستوى اللغوي نفسه قائلا: "وازميلاه" (سيف، قصر أمي، 1997، صفحة 89).

يستمر المترجم في احترام المستوى التعبيري الذي يميز الجانب الشفهي المجسد في رسالة ليلي بترجمة صيغة غير واردة الاستعمال في الفرنسية ترجمة حرفية ناقلا بذلك أسلوب الجملة الأصلية البسيط في العربية:

« je met la main à la Plume… » (Pagnol, Le Château de ma mère, 2004, p. 106).

"أضع يدي في الريشة..." (سيف، قصر أمي، 1997، صفحة 90).

إن القارئ للجملة العربية يتفطن مباشرة للخلل الموجود في الجملة الغريبة الاستعمال في العربية ويدرك بذلك المستوى اللغوي المميز للهجة ليلي الفردية. إلا أننا نلاحظ غياب الأخطاء الإملائية التي من شأنها توضيح عيب الجملة الفرنسية أكثر، حيث يغيب حرف البداية الكبير في je، ويحضر في غير محله في كلمة Plume. كما أن ليلي أساء تصريف الفعل مع ضمير المتكلم met. تعج الرسالة في مجملها بالأخطاء الإملائية التي تعطي فكرة واضحة عن كيفية تصور ليلي للكلمات ذهنيا وبالتالي ترسم لنا لهجته الفردية (كتابيا)، إلا أننا لا نلمس ذلك كثيرا في الترجمة العربية إلا في بعض المواضع كما هو الأمر بالنسبة لكلمة Dézastre التي ترجمها محمد سيف بـ "موصيبة" محاولا بذلك نقل الخطأ

الأصلي أو "الدرراج" مكررا حرف الراء كمقابل لكلمة Perdrots الخاطئة أو "الغيراء" عوض "غراء" كنقل للخطأ الأصلي في كلمة Glue.

كما أن المترجم لجأ في بعض الأحيان إلى استعمال العامية المصرية ربما كمحاولة منه لتدارك الخسارة السابق ذكرها، فتتكون لدى القارئ نوعا ما صورة عن الجانب الشفهي الذي يميز الرسالة وعن لهجة ليلي الطفولية، حتى وإن كانت العامية مظهرا لغويا اجتماعيا يشترك فيه أكثر من فرد:

-« …ils m'ont volé douze Pièje… » (Pagnol, Le Château de ma mère, 2004, p. 106).

-"**أعرفك** أنهم سرقوا مني **اتناشر** فخ.... " (سيف، قصر أمي، 1997، صفحة 90).

-« Je sé quicé. » (Pagnol, Le Château de ma mère, 2004, p. 106).

-"وأنا **عارف** من الذي عمل هذا..." (سيف، قصر أمي، 1997، صفحة 90).

-« batistin est contant… » (Pagnol, Le Château de ma mère, 2004, p. 106).

-"باطيستا **مبسوط**..." (سيف، قصر أمي، 1997، صفحة 90).

باستثناء تلك الترجمات إذن، فإن الرسالة بالعربية تحترم عموما قواعد اللغة السليمة وهو ما ينافي المستوى التعليمي لليلي ولهجته الفردية. ويزداد التناقض وضوحا عندما يعلق الكاتب على الرسالة قائلا:

« Il ne fut pas facile de déchiffrer cette écriture que l'orthographe n'éclairait guère. » (Pagnol, Le Château de ma mère, 2004, p. 107).

"ولم يكن سهلا تفسير هذه الكتابة التي لم يوضحها الإملاء إلا بصعوبة." (سيف، قصر أمي، 1997، صفحة 91).

لكننا لا نلمس تلك الصعوبة في الرسالة بالعربية إجمالا، بل تُقرأ وتُفهم بسهولة. كما أن الرسالة، لورود الأخطاء فيها بكثرة، تحمل نبرة فكاهية أراد بانيول إيصالها للقارئ من خلال حفاظه على كل عيوبها وإبرازها بشكل واضح. غير أن الترجمة التي اكتفت بنقل المعنى دون التركيز على الجانب الشكلي أهملت إلى حد ما هذا الجزء الهام في أي نص أدبي، ولا نلمس كثيرا البعد الكوميدي الذي أراده المؤلف بيّنا وهو ما يعبر عنه لاحقا معلقا:

« Le soir, dans mon lit, je relus le message de Lili, et son orthographe me parut si comique que je ne pus m'empêcher de rire… » (Pagnol, Le Château de ma mère, 2004, p. 109).

"في المساء، بسريري، قرأت رسالة ليلي، وبدت لي أخطاؤه الإملائية، مضحكة حتى أنني لم أمنع نفسي من الضحك." (سيف، قصر أمي، 1997، صفحة 92).

تزداد صعوبة ترجمة هذا النوع من اللهجات الفردية عندما لا تكون الأخطاء الإملائية مظهرا كتابيا فقط، بل تنم كذلك عن فهم خاص وغير تقليدي لبعض الألفاظ أو المفاهيم. فنجد مثلا بانيول الصغير يتمثل بعض الكلمات ذهنيا بإملاء مختلف ومعنى آخر:

> … Mon père ripostait en décrivant un cardinal (…) puis, il parlait d'un certain « **Lagabèle** », qui ruinait le peuple (…) D'autres fois, l'oncle attaquait des

gens qui s'appelaient « **les radicots** » (…) Mon père parlait aussitôt d'une autre bande, qui s'appelait « **les jézuites** » ; c'étaient d'horribles « **tartruffes** »(…). (Pagnol, La Gloire de mon père, 2004, p. 113)

نلاحظ أن بعض الكلمات محولة عن معناها وعن طريقة كتابتها ونطقها، ككلمة La gabèle عوض La gabelle، والتي حرص المؤلف على كتابتها كما كانت شخصيته الصغيرة تتصورها وتفهمها على أنها شخص معين وليس نوعا من الضرائب. فتدل تلك الكلمات بوضوح على اللهجة الفردية الخاصة ببانيول الصغير، الذي كان له تفسيره واستعماله الشخصي لهذه الكلمات. ولكننا لا نجد أثرا لهذا الأسلوب المنفرد في الترجمة العربية، كما تم حذف بعض الكلمات والمقاطع كليا:

"... ويرد أبي (...) وهو يصف كاردينالا (...) و كان العم، أحيانا، يهاجم الناس المدعوين "بالراديكاليين" (...) وكان أبي يعقب على ذلك بالحديث عن عصابة أخرى، تدعى بـ "اليسوعيين" أعضاؤها نماذج مرعبة من تارتوف موليير (...)" (سيف، مجد أبي، 1997، صفحة 99).

مهما يكن خيار المترجم، الذي نلمس من خلاله محاولة إيجاد بديل مكافئ في بعض المواضع لمظاهر الشفهية، فإن الترجمة تبقى ناقصة أو جزئية. ولقد انتبه دياز سينتاس وريمايل Diaz Cintas & Remael إلى مدى صعوبة نقل هذا النوع من التجليات اللغوية، سواء أتعلق الأمر باللهجة الفردية أم الاجتماعية أم غيرها من اللهجات ذات الصلة، خصوصا عندما يتعلق الأمر بضرورة إيجاد مقابل في اللغة الهدف يؤدي الغرض نفسه كتابيا أو مطبعيا، حيث يستحيل تحقيق الأثر اللهجي الأصل (Munday, 2008). إذن، سواء أكانت الترجمة أمينة للحرف أم مطوعة للأصل، فإن المترجم يقع لا محالة في فخ الميولات التحريفية التي أشار إليها أنطوان برمان تحديدا على مستوى اللهجات المحلية، فتتأثر جودة الترجمة مهما تنوع خيار المترجم بين التغريب أو الحذف أو التعويض (برمان، 2010). وهذا ما يؤكد لنا مدى الحساسية المحيطة بترجمة اللهجة الفردية التي تأخذ صورا مختلفة لا يمكن ضبطها دائما ونقلها بأمانة، فيتعذر ببساطة ترجمتها.

تتجسد أحيانا اللهجة الفردية في صورة صيغ خاصة مستحدثة ينفرد في استعمالها الشخص المتكلم ولا توجد عند غيره، وهو ما يشكل تحديا كبيرا أمام المترجم لصعوبة نقل ألفاظ وعبارات شخصية بحتة لا وجود لها في اللغة المعيارية. فنلاحظ في المثال التالي ورود لفظ جامع ابتكره المؤلف لتلخيص قواعد الجمع الاستثنائية في الفرنسية في رواية مجد أبي:

« …je triomphais de la règle de trois, j'appris (…) l'existence du lac Titicaca, puis Louis X le Hutin**, hibouchougenou** et ces règles désolantes, qui gouvernent les participes passés. » (Pagnol, La Gloire de mon père, 2004, p. 48).

نلمس في الترجمة العربية مدى صعوبة نقل هذه الخصوصية التي تعبر عن اللهجة الفردية للمؤلف/الشخصية (بانيول الصغير) حيث حذف المترجم هذه الكلمة لعدم وجود ما يكافئها في العربية:

"... تمكنت فيهما من تعلم حساب النسبة والتناسب، وعرفت بوجود (...) بحيرة تيتيكاكا، ولويس العاشر "المشاكس"، والقواعد المكدرة؛ التي تحكم أسماء المفعول." (سيف، مجد أبي، 1997، صفحة 42).

كان بإمكان المترجم اللجوء إلى الترجمة الشارحة مثلا لتعويض الخسارة التي حدثت على مستوى المعنى، أو النهل من الرصيد اللغوي العربي والتحايل لفظيا على بعض الكلمات لتحقيق نوع من التكافؤ الشكلي وتقريب القارئ العربي ولو قليلا من لهجة المؤلف الفردية. لكنه ارتأى حذف الصيغة الأصلية ربما لاستحالة الموازنة بين المعنى والمبنى في آن معا وتحقيق "تلاعب لفظي" مماثل. فيقترح البعض، أمثال هيرفي وهيغينز Hervey & Higgins في هذه الحالة اللجوء إلى نوع من التعويض Compensation في موضع آخر مثلا يختلف عن موضع الكلمة أو العبارة أو الصيغة الأصلية التي تعذر على المترجم نقلها، كوسيلة لتدارك الخسارة التي تحدث عند حذفها تماما (Shuttleworth & Cowie, 2014)

أما بالنسبة للهجات الاجتماعية، فالأمر قد يشكل معضلة أيضا في بعض الأحيان عند محاولة نقلها إلى العربية، لا سيما ما يخص بعض المصطلحات التقنية التي لا يشترك فقط في استعمالها أفراد الجماعة الواحدة، بل قد تحمل كذلك دلالات أخرى ترتبط بالبيئة التي يعيشون فيها أو بعاداتهم وأعرافهم بشكل عام أو بأي مظهر ثقافي آخر يمكن أن يكون منعدما في الثقافة الهدف. وحتى وإن لم تصاحب هذه المصطلحات معان أخرى، فليس هينا إيجاد ما يكافئها في اللغة المستقبلة دائما. تكثر في رواية قصر أمي مصطلحات خاصة تنتمي للهجة الصيادين الاجتماعية بصفة عامة وأخرى يستعملها صيادو الجنوب الفرنسي بصفة خاصة. فنجد العم جول مثلا يصيح للتعبير عن مهارة والد مارسيل بانيول في مجال الصيد البري، قائلا:

« Ce n’est plus le “coup du roi”, c’est le “coup de Joseph” ! » (Pagnol, Le Château de ma mère, 2004, p. 9).

ترجم محمد سيف عبارة coup du roi التي تنتمي لعالم الصيد البري كالتالي:

«إنها لم تعد "ضربة الملك"، لقد أصبحت "ضربة جوزيف"!» (سيف، قصر أمي، 1997، صفحة 9).

وهي ترجمة لا تخاطب مباشرة المخيلة الجماعية للقارئ العربي مع أنها ترجمة أمينة تؤدي المعنى. فعند البحث في الرصيد اللغوي العربي عما يعبر عن عمل متقن ومميز، غالبا ما نجد عبارة "ضربة معلم" التي تعني "عملا أو تصرفا متقنا محكما" (مختار عمر، 2008، صفحة 1544) وتستعمل في المستوى العامي أو الشعبي أيضا. كنا نتوقع إذن لجوء المترجم إليها خاصة وأنه استعمل قصدا المستوى العامي في كثير من المواضع، لكنه ارتأى الحفاظ على الصيغة الأصلية. ومن المرجح أن أصل الصيغة الفرنسية هو Coup droit كما جاء في التعريف التالي:

« Coup du roi ou mieux coup droit. C’est le nom que l’on donne au tir absolument vertical. Il demande pour réussir une grande habitude, beaucoup d’aplomb (…) » (Pairault, 1885, p. 84).

"ضربة الملك أو الضربة المباشرة، مصطلح يطلق على الطلقة العمودية تماما. ويتطلب تحقيقها الكثير من الممارسة ورباطة جأش كبيرة." (ترجمتنا)

نلاحظ أن التعريف يؤكد على الدقة والمهارة المميزتين لهذا النوع من الضربات في مجال الصيد البري، وأن كلمة du roi يمكن أن تكون هنا تحريفا لكلمة droit، وذلك ما يعزز اللجوء إلى عبارة "ضربة معلم".

يمكن أن نفسر عزوف المترجم عن استعمالها بأنها قد تكون مكافئا مناسبا من حيث المستوى لكنها لن تنقل البعد الاجتماعي للعبارة الفرنسية التي تعد مصطلحا متداولا في عالم الصيد البري. وقد يشير ذلك إلى انتباه المترجم للخلل الذي يمكن أن يقع في الترجمة عند اللجوء إلى إستراتيجيتي التغريب والتوطين فحاول تدارك ذلك باستعمالهما بشكل متساو حسب السياق وحسب ما يراه أولوية. إن حدوث الخسارة في الحالتين هو ما يبرز مدى صعوبة ترجمة هذا النوع من اللهجات أو بالأصح، مدى التوفيق في نقل كل معالمها في اللغة الهدف.

نلاحظ أيضا مدى صعوبة نقل اللهجة الاجتماعية عندما تكون ذات طابع محلي، أي عند استعمالها لمصطلحات وألفاظ خاصة بفئة معينة وبمنطقة معينة في آن معا. وكمثال على ذلك لهجة فلاحي الجنوب الفرنسي الاجتماعية، حيث تستعمل تسميات خاصة محلية لبعض النباتات. فنجد في رواية مجد أبي استعمال لفظة محلية بروفنسية للدلالة على نبتة صعتر البر أو الندغ la sarriette. لا يتفق الفلاح فرانسوا François مع والدة مارسيل بانيول حول استعمالها لتسمية أكثر شيوعا لهذه النبتة ويصوب "الخطأ" كما في المثال التالي:

« C'est du **thym frais**, dit-elle. (…)
-Du thym ? dit François avec un tel mépris. Il vaut bien mieux **le pèbre d'aï**… » (Pagnol, La Gloire de mon père, 2004, p. 92).

أما الترجمة العربية فجاءت حرفية تؤدي المعنى لكنها لا تنقل الجانب المحلي، كما لا يفهم القارئ بالضرورة أن المصطلح ينتمي للهجة الفلاحين البروفنسيين الاجتماعية:

"هذا هو السعتر الأخضر، قالت (…)

-يالسعتر؟ قال فرانسوا ببعض الاحتقار، الأفضل لك أن تستعملي (فلفل الثوم)" (سيف، مجد أبي، 1997، صفحة 81).

فلو قال المؤلف poivre d'ail مثلا، لكانت الترجمة الحرفية هنا مشروعة وتؤدي المعنى بكل أمانة لغياب أي صبغة محلية فيها. لكنه استعمل كلمة بروفنسية محضة يصعب، إن لم نقل يتعذر، نقلها للقارئ العربي. لذلك لجأ المترجم لوضعها بين قوسين، محاولا بذلك عزل الكلمة وإيصال فكرة أن المصطلح غير متداول في الفرنسية وأنه غريب لأن استعماله محلي ويقتصر على جماعة معينة.

رغم الخسارة التي تحدث عند تعذر ترجمة اللهجة الفردية أو الاجتماعية بكل مميزاتها، إلا أن البعض يرى إمكانية تعويضها بربح مقابل في اللغة الهدف. هذا ما تطرق إليه موريس بيرنييه Maurice Pergnier عندما اقترح مفهوم التجريد الاصطلاحي la désidiomatisation والذي يحدث في نظره عند استبدال جزء أو فقرة معينة في نص ما بجزء آخر تماما غير موجود في الأصل مع الحفاظ على المعنى، فتتسبب الترجمة في خسارة المعلومة الأصلية لكنها في الوقت ذاته تحقق ربحا بإضافتها لمعلومات شارحة في اللغة الهدف بعد لجوئها إلى ما وصفه هذه المرة بـ إعادة البناء الاصطلاحي la ré-idiomatisation (Pergnier, 2017).

4. خاتمة:

إن لجوء المترجم إلى بعض أساليب التعويض في الترجمة ليس إلا نوعا من التحايل على تعذرها في هذا السياق. وعليه، فإن استعمال اللهجة المحلية المصرية مثلا كبديل أو مكافئ للعامية المستعملة في الأصل قد لا يكون الخيار الأنسب دائما، وإن كانت تنقل فعلا الجانب الشفهي المصاحب للمستوى اللغوي الموجود في الأصل، خاصة وأنها لن تنجح بالضرورة في مخاطبة المتلقي الذي يستعمل لهجة عربية محلية أخرى. فنستنتج إذن أن الخسارة هنا أمر محتوم، لاسيما بين لغتين مختلفتين اختلافا جوهريا كالعربية والفرنسية حيث يستحيل الإبقاء على أي نوع من أنواع الغرابة الأصلية في الترجمة. لذلك، يصعب التوفيق في نقل خصوصيات اللهجة الفردية والاجتماعية دون التضحية بجانب أو بآخر، ودون المساس بروح النص الأصل أو إنتاج ترجمات رديئة لإسرافها في الحرفية. كما أنه لا مفر من الوقوع في الميولات التحريفية التي تطرق إليها برمان خاصة عند محاولة تحقيق المستوى العامي ذاته لاختلاف الأساليب اللغوية (وغير اللغوية أحيانا) التي تميزه في اللغتين. وتتجلى عدم قابلية الترجمة أكثر عند محاولة نقل اللهجة الفردية. فمهما كانت الاستراتيجيات والتقنيات المتبعة في الترجمة، من تكييف، أو حذف، أو نقل حرفي، أو غيرها، فإن المترجم لم ينجح في الكثير من المواضع في إيصال "الأسلوب" المميز للغة بعض الشخصيات، لاستعمالها كما سبق وأن رأينا صيغا شديدة الفردية، أو ألفاظا وعبارات محلية غريبة حتى في اللغة الأصل.

بعد دراسة وتحليل بعض الأمثلة المترجمة يتضح لنا أن اللهجة الفردية تشكل تحديا أكبر أمام المترجم، مقارنة باللهجة الاجتماعية التي لا تعد أقل صعوبة عندما يحاول نقلها بأمانة تامة. إذ تحدث الخسارة عند ترجمة كل منهما لكن بدرجات متفاوتة حيث تكون تامة أحيانا بالنسبة للهجة الفردية. نخلص مما سبق، إلى أن الأمانة المطلقة في هذا المجال مستحيلة – على الأقل بين الفرنسية والعربية- ويجب أن يحاول المترجم تجاوز هذه العقبة التي تحول دون القيام بترجمة سليمة تعطي صورة وفية في المجمل لفحوى النص الأصلي. فالسلاسة والشفافية من جهة أمران منبوذان من الكثير ممن يرون في ذلك تارة طمسا للآخر (أمثال فينوتي وبرمان وغيرهما) والتغريب من جهة أخرى –إن لم يحسن استعماله- قد يحمل في طياته نوعا من الحرفية الساذجة والركيكة تارة أخرى.

في الأخير، نرى أن المترجم يجب أن يتبنى موقفا ترجميا محددا ويتحمل نتائجه. والحال هاته، فإنه يعرض نفسه وترجمته للنقد والهجوم أحيانا ما دام خياره يستند إلى ركيزة أخلاقية كما يدعو إليه هؤلاء المنظرين.

5. المراجع:

برمان، أنطوان. (2010). *الترجمة والحرف أو مقام البعد*. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

سيف، محمد. (1997). *قصر أمي*. دار شرقيات للنشر والتوزيع.

سيف، محمد. (1997). *مجد أبي*. دار شرقيات للنشر والتوزيع.

كالفي، لويس جان. (2006). *علم الاجتماع اللغوي* (ترجمة: محمد يحياتن). الجزائر: دار القصبة للنشر.

لادميرال، جان رينيه. (2011). *التنظير في الترجمة*. (ترجمة: محمد جدير). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

مختار عمر، أحمد. (2008). *معجم اللغة العربية المعاصرة* (الأجزاء 1-2). عالم الكتب.

هدسون. (1990). *علم اللغة الاجتماعي* (ترجمة: محمود عياد). عالم الكتب.

Aron, P., Saint-Jacques, D., & Viala, A. (2002). *Le dictionnaire du littéraire*. Presses Universitaires de France.

Basil, H., & Mason, I. (1997). *The translator as communicator*. London & New York: Routledge.

Catford, J. (1974). A linguistic theory of translation. Oxford University Press.

Dictionnaire Encyclopédique Quillet. (1983). Paris: Librairie Arsitide Quillet.

Dubois, J., Giacomo, M., Guespin, L., Marcellesi, C., Marcellesi, J.-B., & Mével, J.-P. (1994). *Dictionnaire de linguistique*. Larousse.

Ducrot, O., & Todorov, T. (1972). *Dictionnaire encyclopedique des sciences du langages* (2 e éd.). Editions du Seuil.

Farghal, M., & Almanna, A. (2015). *Contextualizing translation theories: Aspects of Arabic-English interlingual communication*. Cambridge Scholars Publishing.

Hall, R. (1951). Idiolect and linguistic super-ego. *Studia Linguistica, 5*, 21-27. doi:10.1111/j.1467-9582.1951.tb00474.x

Labov, W. (1976). *Sociolinguistique* (A. Kihm, Trad.) Editions de Minuit.

Lafontaine, D. (1986). *Le parti pris des mots*. Mardaga.

Le Dictionnaire Marseillais. (2005). Consulté le juin 04, 2021, sur L'Association des Marseillais du Monde: http://richarddavidroux.free.fr/documents/Dictionnaire%20Marseillais.pdf

Moreau, M.-L. (1997). *Sociolinguistique: les concepts de base*. Mardaga.

Munday, J. (2008). *Introducing Translation Studies*. London & New York: Routledge.

Pagnol, M. (2004). *La Gloire de mon père*. Paris: Editions de Fallois.

Pagnol, M. (2004). *Le Château de ma mère*. Paris: Editions de Fallois.

Pairault, A. (1885). *Nouveau dictionnaire des chasses: vocabulaire complet des termes de chasse anciens et modernes*. Librairie Perrault.

Pergnier, M. (2017). *Les fondements sociolinguistiques de la traduction*. Paris: Les Belles Lettres.

Rabatel, A. (2005). *Idiolecte et représentation du discours de l'autre dans le discours d'ego*. *Cahiers de praxématique*, (44), 93-116. http://journals.openedition.org/praxematique/1664. doi: https://doi.org/10.4000/praxematique.1664

Rémi-Giraud, S. (2005). La chatte et l'idiolecte. *Cahiers de praxématique*, (44), 117-142. http://journals.openedition.org/praxematique/1673. doi: https://doi.org/10.4000/praxematique.1673

Shuttleworth, M., & Cowie, M. (2014). *Dictionary of translation studies*. Routledge.

Vargas, E., Rey, V., & Giacomi, A. (2007). *Pratiques sociales et didactiques des langues: études offertes à Claude Vargas*. Publications de l'Université de Provence.